



صورة الممدوح في شعر ابن درّاج القسطلي

عبد القادر صحراوي* (Abdulkadir Sahrawi)

ملخص البحث

تكتسب صورة الممدوح في شعر ابن درّاج القسطلي أهمية كبرى لا سيما أن عدد الذين مدحهم الشاعر من الأمراء والوزراء وقادة الجند والقضاة.. لا يقل عن تسعة وعشرين ممدوحا، وهذا ما دفعني أن أجدب عن الإشكال الآتي: كيف تحول غرض المدح عند ابن دراج إلى قصيدة مدحية؟ وكيف تشكلت صورة الممدوح في شعر ابن درّاج القسطلّي في معتك هذه الكثرة من الممدوحين؟ وما الذي تميزت به هذه الصورة؟

الكلمات المفتاحية: ابن دراج، المدح، القصيدة المدحية، صورة الممدوح، جمالية الصورة.

* أستاذ مساعد، (أ) بقسم الآداب واللغة العربية جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

İbn Derrâc el-Kastalî'nin Şiirinde Methodilen Portresi

Öz

İbn Derrâc el-Kastalî'nin şiirinde methodilen portresi büyük bir öneme sahiptir. Özellikle prens, bakan, komutan ve yargıçlar gibi toplumun ve devletin önde gelenlerinden methodittiği grupların sayısı yirmi dokuzu bulmaktadır. Dolayısıyla biz de bu çalışmamızda şu iki soru soruyu sorup cevaplarını bulmaya çalışacağız. Bu iki temel sorudan biricisi : İbn Derrâc'ın methodime amacı nasıl medih kasidesine dönüştü ? İkincisi ise : Bu kadar çok övülen kimse arasında, İbn Derrâc'ın şiirinde methodilen kişinin portresi nasıl oluştu ve bu portrenin ayırt edici özellikleri nelerdir ?

Anahtar Kelimeler : İbn Derrâc el-Kastalî, medh kasidesi, methodilen portresi, portrenin güzellikleri.

Image of Praised in Ibn Darraj Poetry

Abstract

This paper aims to study the image of praised in the poetry of Ibn Darraj Al-Qostoli. Firstly, it includes a concise presentation of the subject of this study, and so, It presents the linguistic and the terminological definition of the praise over all his chronological existence except in Andalusia. After that, it stands beyond the life of Ibn Darraj and his time and cultures, and even his praised poems. Finally, It shows the most important images of praise's purposes, such as bravery and generosity of the kings and princes of the two families; Ameria and Tajiebit in the end of fourth century and the beginning of the fifth one.

Keywords: Ibn Darraj, praise, poem Midhah, image acclaimed, aesthetic image.

صورة الممدوح في شعر ابن درّاج القسطلبي

مقدمة

يرصد هذا المقال صورة الممدوح في القصيدة المدحية لابن درّاج القسطلبي الأندلسي،⁽¹⁾ ولا سيما أن عدد الذين مدحهم الشاعر ابن درّاج لا يقل عن تسعة وعشرين ممدوحا، و سعيًا مني إلى تقديم هذا الشاعر الأمازيغي (معناها في الهامش) الأصل الذي لا تقل شهرته عن شهرة أبي الطيب المتنبي باعتراف القدامى والمحدثين، فهذا أبو منصور الثعالبي يقول فيه: "كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وهو أحد الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول..."⁽²⁾

كما أن حجم هذه القصائد في ديوانه الذي بلغت فيه مائة وثلاثا وستين قصيدة، وعددا من المقطوعات جلتها في المدح كدليل على تميز هذا الشاعر وامتلاكه الصدارة بين أقرانه في عصر يعد أوله من أزهى العصور في الأندلس، وهذه الوفرة الشعرية وخاصة في تنوع صورة الممدوح لتعد ظاهرة تسترعي الانتباه وإن اختلفت بعض مقدمات القصائد ومواضيعها، ومن هنا وجب تتبع هذه الظاهرة للقصيدة المدحية في ديوان ابن درّاج، وإن كان غرض المدح ليس جديدا على الشعراء الأندلسيين ولكنه انتقل على يد الشاعر ابن درّاج من غرض المدح إلى قصيدة المدح، فلم يصبح المدح غرضا كالأغراض الأخرى من هجاء ورثاء وغيرها، بل أصبح هو القصيدة بعينها؛ لذا أردت من خلال هذا المقال الوقوف على الظاهرة و الكشف عن تنوع وتعدد صورة الممدوح من خلال مرحلتين:

¹ ابن دراج القسطلبي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد سلمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب. كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين.
مراجعة ترجمة ابن دراج وأخباره. جذوة المقتبس ترجمة 186. الثعالبي: بيتيمة الدهر: (103/2-116) ابن بسام الذخيرة في 59-889، 376، 353، 351، 103. ابن بشكوال: الصلة ترجمة 77. ينظر: مقدمة الديوان. تحقيق وتقديم: محمود علي مكي. ط1. دمشق: منشورات المكتب الإسلامي. 1961م. ص 21.
و ط2. الكويت: منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2004م. ص 8)
² الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري. بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط2. القاهرة، 1956م. ج. 1. 2/104.

مرحلة الدولة العامرية، ومرحلة الفتنة القرطبية، إذ كان الديوان كله مديحاً في أسرتين اثنتين كان لهما الأثر الحاسم في توجيه الأحداث، باستثناء بعض القصائد الموجهة إلى بعض الأشخاص الذين كان لهم علاقة بأسرة آل عامر زمن الاستقرار وبأسرة آل تجيب زمن الفتنة⁽³⁾.

إن موضوع صورة المدوح في القصيدة المدحية لابن درّاج القسطلي لم يحظ باهتمام كبير من طرف الباحثين و الدارسين العرب، و نظراً لحداثة تحقيق الديوان من طرف الأستاذ الفاضل محمود علي مكّي - رحمه الله - نجد إشارات هنا وهناك مدرجة ضمن كتب التراجم القديمة، وبعض المؤلفات الحديثة التي اهتمت بهذا الشاعر الأندلسي الأمازيغي الأصل. (الأمازيغ هم السكان الأصليون لشمال أفريقيا وتعني الرجل الحر).

وعلى الرغم من ذلك فإن شعر ابن درّاج لا يزال بكرًا يحتاج إلى دراسات معمقة تؤسس لفترة من أزهى فترات الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

1_ فن المدح في الشعر العربي القديم

أ- المدح لغة:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور: "المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال: مَدَحْتُهُ مَدْحَةً واحدة، ومَدَحَهُ بِمَدْحِهِ، مَدْحًا ومَدْحَةً. هذا قول بعضهم، والصحيح أن المَدْح المصدر و المَدْحَةُ الاسم، و الجمع مَدْحٌ، وهو المديح والمدايح والأمازيغ. الأخيرة على غير قياس ونظيره حديث وأحاديث، قال أبو ذؤيب:

لَوْ كَانَ مَدْحُهُ حَيًّا مُنْشِرًا أَحَدًا أَحْيَى أَبَاكَنَّ - يَا لَيْلَى - الأمازيغ

والمدايح جمع المديح من الشعر الذي مُدِحَ به كالمدحة والأمدوحة، ورجل مَدَحَ من قوم مُدِّحٍ ومديح وممدوح"⁽⁴⁾. وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري: "مدح: مدحه وامتدحه وممدح وممدح، بمدح بكل لسان، والعرب تتمدح بالسخاء، وهو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم، وعندني مدح حسن، ومديح ومدايح ومدحة ومدح وممدحة وأمدوحة وأمازيغ"⁽⁵⁾.

³ ينظر: لمحضر، المصطفى. ابن دراج القسطلي الأندلسي- بين الانتصار والانتكاس- ط1. مراکش: المطبعة والوراقة الوطنية. 2010م. ص9.

⁴ ابن منظور. لسان العرب. مادة: (مدح). ط1. بيروت: دار صادر، 1997م. ج6، ص27.

⁵ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق: عبد الرحيم محمود. (د.ط.). بيروت: طبع دار المعرفة. ص324.

ويقول الإمام أحمد بن فارس الرازي: "جذر الفعل (م، د، ح) يدل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه بمدحه مدحا: أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح، ويقال للمنقبة أمدوحة"⁽⁶⁾ إذا فُلمدح هو الثناء الجميل ووصف محاسن الممدوح بالكلام الحسن.

ب- المدح اصطلاحاً:

المدح من الأغراض الشعرية القديمة وقد عرفه الجرجاني - المعروف بسيد مير شريف - بقوله: "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا"⁽⁷⁾، وهو - أيضاً -: "تعداد جميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا"⁽⁸⁾. وعلى حد تعبير قدامه بن جعفر - صاحب كتاب "الألفاظ الكتابية" - فإن المدح يتفرع عنه المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة⁽⁹⁾.

ج- تطور غرض المدح في الشعر العربي القديم:

المدح غرض من الأغراض الشعرية القديمة التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، إلا أنه لم يكن من فنون الشعر الأولى، لقد تأخر في الوجود عن الأغراض الأخرى التي يتغنى بها الشاعر بعاطفته الشخصية كالغزل مثلاً، فغلب الفخر على مديح العرب فهم أهل نخوة وإباء، فلا تكاد تجد في شعر المهلهل أو امرئ القيس مديحاً مبنياً على التملق والتكسب وتصنع الأخلاق.⁽¹⁰⁾

وقد ظل الأمر على هذا الحال حتى ضعفت أعصاب البداوة في بعض الشعراء، "فأرأينا زهير بن أبي سلمى يتكسب يسيراً مع هرم بن سنان، ولكن بقي مدحه طبيعياً، لم يحاول فيه تلوين الحقيقة بذلك اللون الذي يعطيها في الوهم منظر الاستعباد، ولذلك فضله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه. ثم ظهر النابغة فتكسب بشعره من المناذرة والغساسنة وهم ملوك... وجاء الأعشى بعد زهير والنابغة،

⁶ القزويني، أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، 1979م ج.5. ص308.

⁷ الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد. التعريفات. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1983م. ص 297.

⁸ جبور، عبد النور: المعجم الأدبي. ط2. بيروت: طبع دار العلم للملايين، 1984م. ص245.

⁹ ينظر: قدامة بن جعفر. نقد النثر. طبعة القاهرة، 1983م. ص81.

¹⁰ ينظر: عتيق، عبد العزيز. الأدب العربي في الأندلس. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية، (د.ت). ص183.

فجعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان"⁽¹¹⁾، وظهر بعدهم الخطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالته شعره وشرف بيته⁽¹²⁾.

لقد كان الشاعر الجاهلي تغلب على طبعه الأنفة من السؤال بالشعر إلا اضطراراً، فهو يرى ذلك نقيصة وتفضلاً عليه وهو الذي عودته الحياة البدوية ألا ينحني ولا يخضع إلا لسلطان ذاته وقبيلته.

أما في صدر الإسلام فقد تطور هذا الغرض وانصغ بصيغة الإسلام في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وبرز شعراء في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-، من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك بقصائد خالدة في نصرة الدعوة الإسلامية. وقصيدة البردة لكعب بن زهير شاهدة على ذلك وإن بقيت هذه الأخيرة محافظة على تقاليد القصيدة العربية الجاهلية، كما مدح شعراء المشركين زعماءهم وأبطالهم مفاخرين ومدافعين عن إرث آبائهم المهالك، وهاجين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأنصاره.

وما أن جاء العصر الأموي حتى عادت العصبية القبلية تعلي من شأن القبيلة وتفاخر بأجدادها ونسبها، فكثرت فيها المدح والمهزاء وتحول هذا الأخير إلى فن جديد فأصبح يعرف بـ "فن النقائض" على يد الشعراء جرير والفرزدق والأخطل.

ويروى أن جميل بن معمر "جميل بثينة" لم يمدح أحدا قط إلا ذويه وقربته، كما يروى أن عمر بن أبي ربيعة ترغّب عن المدح والمهزاء، وأن العباس بن الأحنف أنف عن المدح تظرفاً⁽¹³⁾. ويقال إن كثير عزة أول من فعل ذلك، "وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال: يَأْتِي إِذَا مَدَحْتُمْ فَلَا تَطِيلُوا الْمَادِحَةَ، فَإِنَّهُ يَنْسِي أَوْلَهَا وَلَا يَحْفَظُ آخِرَهَا، وَإِذَا هَجَوْتُمْ فَخَالَفُوا"⁽¹⁴⁾.

وأما المحدثون من الشعراء فقد أكثروا المديح، وقد جرّأهم على ذلك جود الخلفاء ورغبتهم في اصطناعهم، ورغم النقد الذي وجه لهؤلاء الشعراء الذين جعلوا من الشعر أداة للتكسب والارتزاق لما فيه من

¹¹ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

¹² ينظر: ابن رشيقي، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده-باب التكسب بالشعر والأنفة منه-تحقيق: عبد الحميد هندراوي. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2001م. ج1. صص 69_72.

¹³ ينظر: عبد العزيز عتيق، صص 184.

¹⁴ ابن رشيقي القيرواني، صص 148.

الكذب وتجميل صورة الممدوح، وبذلك يكون الشعر بعيداً عن الصدق¹⁵. لكنهم لم ينقطعوا عن المدح والتكسب به في سبيل المال والجاه ونيل حظوه الخليفة أو الأمير.

د_ فن المدح عند شعراء الأندلس:

لم يختلف شعراء الأندلس عن شعراء المشرق في هذا الفن الشعري فقد "نظموا المدائح وأكثروا منها، حتى لنرى بعض كبار شعرائهم من أمثال ابن هاني الأندلسي، وابن دراج القسطلّي، وابن حمديس الصقلّي، قد خرج معظم شعرهم في المديح"¹⁶.

إن المتتبع لتطور قصيدة المديح في الأندلس "يرى أن معظمها موجه إلى أمراء الأندلس وخلفائهم وملوكهم، وأنها من حيث المضمون أو المحتوى لها جانبان: جانب يريك الصفات التي يجعلها الشعراء على ممدوحهم، وهذه لا تخرج عادة عن الصفات التقليدية التي يطيب للعربي أن يوصف بها، كصفات المروءة والوفاء والكرم والشجاعة، وما أشبه ذلك، أما الجانب الآخر فيدور حول انتصارات الممدوحين التي تعد نصراً للإسلام والمسلمين، ويدخل في ذلك أحياناً وصف جيوشهم ومعاركهم الحربية"¹⁷.

يشير عبد العزيز عتيق إلى أن شعراء الأندلس يتأنقوا في مديحهم وينوعوا في أساليبهم بين الجزالة والفخامة والرقّة والسهولة، كما أن طرائقهم في بناء القصائد المدحية تختلف من شاعر إلى آخر، فمنهم من يبني قصيدته على غرض المدح وحده، فيدخل فيه من غير مقدمات، ومنهم من يبينها على موضوعين فيستهلها بالغزل أو وصف الطبيعة أو الخمر أو الشكوى أو العتاب، ثم يخرج إلى المدح، ومنهم من يبينها على ثلاثة موضوعات فيستهلها باثنتين من الموضوعات السابقة، حتى إذا بلغ غايته منهنما انتقل إلى المدح، فبعد العزيز عتيق يرى أن الشاعر الأندلسي ليس مبدعاً في المدح إنما يجري في ذلك على سنن الأقدمين فقصائدهم التي كانت تبني من مقدمة طلبية، فنسب، فوصف للرحلة، فتخلص للمدح.

ولقد أشار ابن قتيبة الدينوري صاحب "أدب الكاتب" إلى الأسس التي قامت عليها تقاليد قصيدة المدح القديمة، فهو يرى سماعاً عن بعض أهل الأدب أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها الشاعر بذكر الديار والدمن

¹⁵ ينظر: عبد العزيز عتيق، ص 184.

¹⁶ المرجع نفسه، ص 185.

¹⁷ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها، انتجاعا للكأ والتبعا للماء، ومساقت الغيث حيث كان.

ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصباية والشوق؛ ليُجِيل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب (التعزُّل) بذكر محاسن المرأة قريب من النفوس، لائظ بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد يكون أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أم حرام.

فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عَقَّبَ بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهو، وسُرَى الليل وحرَّ المَجِير، وإنشاء (أَتَعَبَ ، وَأَضْعَفَ) الراحلة والبعير؛ فإذا علم أنه قد أوجب على صاحب المقصود حق الرجاء والتأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه.⁽¹⁸⁾

هذه قراءة نفسية واجتماعية لابن قتيبة في تحليله للأسس التي قامت عليها القصيدة المدحية قديما، ونراه محقا في ذلك فالممدوح يستحق هذا التقديم وهذا العناء؛ فهو الذي سيغدق على مادحه الخير كلّه.

إن الشعراء الأندلسيين لا يختلفون كثيرا في بناء القصيدة عن الشعراء المشاركة، ولكنهم يمتازون عليهم بتنوع الموضوعات وثرانها، فالأندلس رغم كونها الامتداد الطبيعي للخلافة الأموية في المشرق ورغم ما شهدته من ازدهار في عهد الدولة العامرية، وخاصة في عهد الحاجب المنصور ومن بعده أبنائه إلا أنها شهدت أحداثا وحروبا وصراعات وفتنا عز فيها أقوام وذل آخرون، وما عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري إلا شاهد على ذلك.

2- ابن درّاج القسطلبي :

هو أبو عمر أحمد بن مُحَمَّد بن العاصي بن أحمد سلمان بن عيسى بن درّاج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب، كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره. وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين

¹⁸ ابن قتيبة، أبو مُحَمَّد بن عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. تحقيق وشرح: أحمد مُحَمَّد شاكر. القاهرة: دار المعارف. ج 1 ص 75، 74.

والعلماء المقدمين، ذكره أبو منصور الثعالبي في "يتيمة الدهر" وقال في حقه "كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام، وهو أحد الشعراء الفحول وكان يجيد ما ينظم... وذكره أبو الحسن علي ابن بسام في كتاب "الذخيرة" وساق طرفاً من رسائله ونظمه⁽¹⁹⁾، وكنيته أبو عمر⁽²⁰⁾.

ينحدر ابن درّاج من أسرة نبيلة مرموقة الشأن حتى أن بلده قسطلّة* كانت معروفة في كتب الجغرافيين باسم (قسطلّة دراج)، وبنو درّاج ينتمون إلى قبيلة صنهاجة البربرية، ويبدو أن دخول هؤلاء إلى الأندلس كان يرجع إلى الوقت الذي افتتح فيه طارق بن زياد هذه البلاد في سنة 92هـ.⁽²¹⁾

فاين درّاج كان ذا نسب عريق، وعائلته تداولت على رئاسة بلدة قسطلّة، والذي يتأمل ديوان ابن دراج دون أن يعرف نسبه البربري لا يكاد يحس فيه بأي أثر لذلك النسب، ولعل هذا راجع في الغالب إلى أن البربر الذين دخلوا الأندلس في الرعيّل الأول من فاتحيها المسلمين لم يستقروا في هذه البلاد حتى تأقلموا بسرعة مذهلة، هكذا لم يمض القليل من الوقت حتى اندمجوا في المجتمع الأندلسي اندماجاً كاملاً.⁽²²⁾

فاين درّاج نشأ أندلسياً وعاش شاعراً محباً للعربية مبدعاً في صورها وأخيّلتها، ومؤمناً بقداسة كل ما هو عربي حتى في محنته في عصر ملوك الطوائف؛ ولمعرفة هذا الشاعر الفذ سنقف على مراحل حياته المتغيرة والتي قسمها الباحث الكبير على محمود علي مكي -رحمه الله- إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: (347-382هـ)

وهي مرحلة تسبق اتصال الشاعر بالمنصور بن أبي عامر* وهي مرحلة غامضة تفتقر إلى الدقة، ويعتمد محقق الديوان علي محمود مكي على التخمين والظن فيقول: "وأغلب الظن أن ابن درّاج بدأ حياته الدراسية

¹⁹ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (608_681هـ) تحقيق: د. إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ج1، ص 135. وديوان ابن دراج القسطلّي، مصدر سابق، ط2، ص8.

²⁰ مقدمة الديوان، ط2، ص8.

* قسطلّة: قرية في غرب الأندلس، هذا ما ذهب إليه الحميري، أما موقعها فهي القرية الداخلة في حدود البرتغال والتي تسمى (cacella)، من أعمال منطقة Aljavre انظر: مقدمة الديوان، ص14.

²¹ الديوان، ص9.

²² الديوان، ص10.

تلميذا يتردد على مجالس الشيوخ وحلقاتهم في جَيَان لحفظ القرآن والإمام بمبادئ النحو واللغة والأدب والأخبار والأنساب والفقهاء... ولسنا نستبعد أن يكون ابن درّاج وهو في غضاضة الصبا قد قام بعدة رحلات إلى قرطبة ... «(23)

المرحلة الثانية: (382-399هـ)

وهي من أزهى الفترات التي عاشها ابن درّاج في كنف الدولة العامرية، وأبدع فيها بقصائده المدحية في المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن شنجول،* معظمًا صورة ممدوحيه ومصوّرًا بطولاتهم وشجاعتهم في قهر الفرنجة وقيام دولة الحق والعدل بقصائد نافست فحول الشعراء في القرن الرابع والخامس الهجريين⁽²⁴⁾.

المرحلة الثالثة: (399-421هـ)

إنها مرحلة نهاية دولة وبداية عصر جديد، عصر الفتن والانقسام، إنه عصر ملوك الطوائف، وهنا الشاعر وجد نفسه في رحلة تيه وضياغ، بين تلك الدويلات سواء من المواليين للعامريين من بعض الفتيان الصقالبة الذين كانت للشاعر علاقة معهم إبان الدولة العامرية كخيران العامري ولييب العامري حاكم طرطوشة ومبارك ومظفر صاحب بلنسية وغيرهم من القادة والأمراء الأمويين من أمثال سليمان المستعين بالله والمهدي محمد بن عبد الجبار والمرتضى آخر ملوك بني مروان، ولكنه وجد الجفاء واللامبالاة من طرف هؤلاء الأمراء وقد صور ابن بسام هذه الوفادات حين قال:

"كان القسطلي -حسب ما قدما صدر هذا الديوان- من فتنة ذلك الزمان بمنشأ ليلها، وعلى مدرج سيلها، فأوثقتة في جبالها، وعركته عرك الرحي بثقالها، ولم يزل يتقلب بين أطباقها، ويتشرف أسار ثمادها وأرناقها، فكم

* المنصور بن أبي عامر: هو الملك الأعظم المنصور بن أبي عامر مُحَمَّد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش، وعبد الملك جده هو الواقد من الأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب. وقال في المطمح في حقي بن أبي عامر: إنه تمرس في بلاد الشرك أعظم تمرس، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس، وغادرهم صرعى البقاع و تركهم أذل من وتد بقاع، ووالى على بلادهم الوقائع، وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع، وأغص بالحمام أرواحهم، ونغص بتلك الألام بكورهم ورواحهم. (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف الشيخ أحمد بن المقرئ التلمساني حققه: د. إحسان عباس ج1 دار صادر بيروت1988م) ص: 392، 403..²³ المصدر نفسه، ص ص19،20.

* شنجول: هو عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، أخو عبد الملك المظفر. وشنجول اسم جاء من قبل أمه عبد بنت شنجة النصراني. البيان لابن عذاري: 83/3.

²⁴ ابن دراج القسطلي. بين الانتصار والانكسار. مرجع سابق. ص. 72.

له من وفادة أخرى من وفادة البرجمي، ووسيلة أضيع من المصحف في بيت الزنديق الأمي، بقصائد لو مدح الزمان لما جار أو رواها الزيرقان" (25)

المرحلة الأخيرة:

وهي المرحلة التي قضى فيها الشاعر ما يقارب عشر سنوات في بلاط منذر التجيبي وابنه يحيى مادحا ومصوّراً لأحداث هذه المرحلة ومخلّداً لمآثر الأسرة التحيبية، وقد كتب فيها ما يقارب الثلث من إنتاجه الشعري أي سبعا وأربعين قصيدة.

إن الشاعر ابن دراج القسطلّي شاعر الأندلس بلا منازع باعتراف القدامى والمحدثين، وقد أكسبته تجربته الشعرية حُنكة ونبوغا في قول الشعر فصار متنبّي الأندلس، وهذا أبو حيان الأندلسي يقول فيه: "أبو عمر بن درّاج القسطلّي سباق حلبة الشعراء العامرين وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين" (26).

3_ القصيدة المدحية في ديوان ابن درّاج القسطلّي:

سنعتمد في إبراز ظاهرة المدح الذي تحول من غرض المدح إلى قصيدة بأكملها في ديوان ابن دراج القسطلّي، تحقيق الدكتور محمود علي مكي _رحمه الله_ من خلال مرحلتين متميزتين هما المرحلة العامرية والمرحلة التحيبية، والجدولان الآتيان يبيان نسبة القصائد المدحية وأهم وأشهر الممدوحين فيهما:

الممدوح	القصائد المدحية
المنصور بن أبي عامر: وهو الممدوح الأول لابن درّاج وخصّه وابنيّه بثلاث شعره (3/1)	1،3،4،77،78،99،100،101 102،103،105 إلى 120
المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر	من 5 إلى 12 و79،104،130،135،121، 122،123،124،126،
الناصر عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر(شُجُول)	128

²⁵ ابن بسام، الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس. لبنان: دار الثقافة، 1997م.

ج1، ق3، صص 10،11.

²⁶ المصدر نفسه، ج1، ق1، صص 60.

المؤمن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر: ابن شَنْجُول	143،145
الوزير عيسى بن سعيد: وزير العامريين	23،24
منذر بن يحيى التَّجِيبِي: أمير سرقسطة اتصل به الشاعر سنة 408هـ، وقضى ما يقارب عشر سنوات في بلاطه وبلاط ابنه وقد بلغ شعره الثلث في التَّجِيبِيِّين (3/1)	من 39 إلى 57 و75،82،129،139 و142،143،148، ومن 151 إلى 154 و157،159.
المظفر يحيى بن منذر بن يحيى (منذر الثاني) و هو ابن منذر الأول تولى إمارة سرقسطة بعد والده.	من 59 إلى 74،92،93،95، 96،98،137،141، 146،56

من الجدولين السابقين نخلص إلى أن جلاً شعر ابن درّاج في الأسترتين العامرية والتَّجِيبِيَّة، ومع ذلك نجد للشاعر قصائد يمدح فيها بعض ملوك الطوائف، بل امتد مدحُه إلى قادة الجيش وأصحاب الشرطة وغيرهم.

4_صورة الممدوح في شعر ابن دراج:

لقد تنوعت صورة الممدوح في شعر ابن درّاج وتعددت معانيها، والجدول الآتي يرصد هذه الظاهرة ويبين قدرة الشاعر ابن درّاج في تشكيل صورة ممدوحيه من أمراء وقادة وغيرهم:

رقم/ق	الآبيات	الممدوح	الصورة
01	33- جوادٌ له من بهجة العزِّ غُرَّةٌ ومن شيم الفضلِ المبينِ حجولُ 34- به أَمِنَ الإسلامُ شرقاً ومغرباً وغالت غواياتِ الضلالةِ غولُ 35- يَصُولُ بسيفِ الله عَنَّا وإنما به السيفُ في ضنكِ المقامِ يَصُولُ ⁽²⁷⁾	يصف ابن درّاج المنصور بن أبي عامر أنه (جواد)، أي السخي الكريم، وقد جاءت هذه اللفظة على وزن (فاعل) لإظهار اليد الطولى للمنصور في فعل الخير، كما عبر الشاعر عن العزّ الذي أصبح غرة في جبين الحاجب المنصور، و عن شيم الفضل التي أضاءت كف المنصور ابن أبي عامر،	

²⁷ القسطلي، ابن دراج. الديوان. ط2. مصدر سابق. ص78.

<p>فالشاعر اقتبس هذا المعنى من الحديث الشريف الذي يصف المؤمنين يوم القيامة ويميزهم عن باقي الأمم الأخرى، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنْ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ... "متفق عليه، فقد بنى منه الشاعر صورة للممدوحه ترفعه إلى مقام الناجين يوم القيامة؛ ولم لا وهو حامي الإسلام شرقاً وغرباً، فهو سيف من سيوف الله مسلول.</p>	<p>المنصور بن أبي عامر</p>		
<p>يهنئ الشاعر المنصور بن أبي عامر على عوائده الجميلة، فهو الكريم ابن الكريم، ورث الحمد كابراً عن كابر. إن الشاعر ابن دراج يرسم لنا صورة ممدوحه يوم العيد وهو العابد النقي الصائم والصابر المحتسب أجره عند الله - عزّ وجلّ -، فهو لا ينتظر الثواب إلا من الله تعالى ... فيأتي الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: "إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (سورة الزمر الآية 10)، فالشاعر برع في توظيف النص القرآني في مدح المنصور بن أبي عامر وأعطاه الصورة المثلى التي تليق بقائد عظيم حمل أعباء الجهاد</p>		<p>50-فِيهْنِيكَ يَا مَنْصُورُ مَبْدَأُ أَنْعَمُ عَوَائِدُهُ صَنَعَ لَدَيْكَ جَمِيلُ</p> <p>51-وَفَرَعَانَ مِنْ دَوْحِ الثَّنَاءِ نَمَتَهَا مَنْ الْجَمْدِ فِي الثَّرْبِ الرَّكْبِي أَصُولُ</p> <p>54-وَيَهْنِيكَ شَهْرٌ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ شَاهِدٌ</p> <p>بِأَنَّكَ بَرٌّ بِالصِّيَامِ وَصَوْلُ</p> <p>55-فَوُؤِيَّتْ أَجْرَ الصَّابِرِينَ وَلَا عَدَا مَسَاعِيكَ فَوْزٌ عَاجِلٌ وَقَبُولُ⁽²⁸⁾</p>	<p>01</p>

ونصرة دين الله.			
<p>بقدر ما رسمت جملة " بُيَّيَّ إِلَيْكَ اليومَ عَيِّي " تعلق الأهل وتشبهتهم بآبن دراج، فبالقدر نفسه عكست علوق الشاعر بالعامري ومدى حبه له، فمن أجله تشد الرحال، أو ليس هو ولي نعمته ومليكه؟ فهو صاحب كرم ومجد فيكفي الشاعر بن درّاج رضاه فهذا ما يتمناه الشاعر من الحاجب المنصور الذي تعالی نسبه وارتفع وعزّ؟ فهو سليل الملوك من سرو حمير، ذوو الملك والتيجان، فقد تباهت التيجان بكم بدل أن تتباهوا أنتم بما، فجاءت الصورة مقلوبة فالأصل أن تتباهى الملوك بالتيجان وبأحجاره الكريمة وتتنافس في ذلك إلا أن شاعرنا قلب الصورة فالتيجان هي التي تتباهى وتفتخر بأن توضع على رؤوس بني عامر وهذا يدل على براعة الشاعر في إخراج صورة ممدوحه ورسمها.</p>		<p>43- بُيَّيَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ عَيِّي فَإِنَّمَا عزائمُ كَفُّ الْعَامِرِيِّ مَدَاهَا 44- فَحَطَّطْتُ بِمَعْنَى الْجَوْدِ وَالْمَجْدِ رَحْلَهَا وَأَلْقَتِ بِرَبْعِ الْمَكْرُمَاتِ عَصَاهَا 45- لَدَى مَلِكٍ إِحْدَى لَوَاحِظٍ طَرْفِهِ بعين الرِّضَا حَسْبُ الْمَنَى وَكَفَاهَا 46- هُوَ الْحَاجِبُ الْمَنْصُورُ وَالْمَلِكُ الَّذِي سَعَى فَتَعَالَى جَدُّهُ فَتَنَاهَى 47- سَلِيلُ الْمَلُوكِ الصَّيِّدِ مِنْ سَرُوِّ حَمِيرٍ تَوَسَّطَ فِي الْأَحْسَابِ سَمَكٌ ذُرَاهَا 52- ذُوو الْمَلِكِ وَالتَّيْجَانِ وَالغُرَيْرِ الَّتِي جَدِيرٌ بِمَا التَّيْجَانُ أَنْ تَتَبَاهَى (29)</p>	03

<p>يشيد الشاعر بممدوحه المنصور بن أبي عامر الذي فَنَدَ مزاعم خصومه من الشعراء الذين اتهموه بالانتحال والسرقة وقد أكرمه أيّما إكرام، فهو القائد الفطن الذي هزم جحافل الأعداء وترك مَلِكُهَا ذليلاً؛ بجر أذيان الهزيمة، عبّر عن ذلك بالعبارة "مُتَلَعًا عنه رداء العَلَا والعِرِّ مُسْتَلَبًا"؛ و لم يكتبف بذلك حتى تركه مخضباً بدمائه.</p> <p>فقد شكل ابن درّاج بهذه الأبيات صورة القائد الكيس الفطن الذي يقف عند الحق و يقهر الأعداء ويذلهم.</p>	<p>المنصور بن أبي عامر</p>	<p>49-وَقَلَّ عَنِّي أَحْزَابُ الْعِدَى مَلِكٌ مُعَوِّدٌ أَنْ يَقُلَّ الْجَحْفَلُ اللَّجْبَا</p> <p>50-وَيَتْرُكُ الْمَلِكُ الْجَبَّارَ مُخْتَلَعًا</p> <p>عنه رداء العَلَا والعِرِّ مُسْتَلَبًا</p> <p>51-مُجَدِّلاً يَجْنُوبُ الْأَرْضِ مُنْعَفِرًا</p> <p>وَمُشْعَرًا يَنْجِيحُ الْجَوْفِ مُخْتَضِبًا⁽³⁰⁾</p>	<p>100</p>
<p>يستفتح الشاعر الأبيات بالنداء لجلب انتباه المتلقي عبر الزمن لعظمة هذا المنادى الذي جاء معرفاً بالإضافة، فقد أضيف هذا القائد للخيال العتاق؛ أي الكريمة والأصيلة وهي كناية عن رفع لواء الجهاد في سبيل الله، كما يشبه عزماته بالرماح والشفار في قوتها وحدتها وفتكها، فهو ليث ووجه الشبه هنا المخاطرة، وعدم الخوف دليل على همته العالية .</p> <p>ويواصل الشاعر رسم صورة ممدوحه الحاجب المنصور المنتصر على الأعداء</p>		<p>16-يا قَائِدَ الْخَيْلِ الْعِتَاقِي كَأَمَّا عَزَمَاتُهُ أَرْمَاحُهَا وَشَفَاؤُهَا</p> <p>17-لَيْثٌ يُخَاطِرُ فِي الْمَكْرِ بِنَفْسِهِ</p> <p>هَمٌّ عَظِيمٌ فِي الْعَلَا أَحْطَاؤُهَا</p> <p>18-أَوْطَأَتْ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ كَتَائِبًا</p> <p>فِيهَا وَشَيْكُ فَنَائِهَا وَدَمَائُهَا</p> <p>19-وَتَرَكْتَ أَرْضَ "لَيْوَنَ" وَهِيَ كَأَنَّهَا</p> <p>لَمْ تَعَنَّ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ دِيَاؤُهَا</p> <p>20-مَرْفُوعَةٌ لَكَ فِي الْعَلَا أَعْلَامُهَا</p> <p>لَمَّا عَدَدْتَ بِكَ عَائِيًا آثَارُهَا⁽³¹⁾</p>	<p>111</p>

³⁰ الديوان، ص501.

³¹ الديوان، ص550.

<p>من خلال الواقعة الحربية المتمثلة في غزوه مملكة" ليون" وتدميرها .</p> <p>وقد أحسن الشاعر استعمال ألفاظ وعبارات أسهمت في تشكيل هذه الصورة.</p> <p>إن استخدامه للفعل "أوطأت" فيه دوس بالأقدام لأرض "المشركين" ولم يقل أرض الكافرين إشارة منه إلى المتأمرين من المسلمين من أمثال عبد الله بن عبد العزيز الأموي المعروف باسم بتره شقة (الحجر اليباس) (الديوان ص549)</p> <p>كما نجد عبارة "كأنها لم تَعَنَّ بالأمس" المقتبسة من قوله تعالى: "... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتْ وَظَنَّتْ أَهْلَهَا أَنَّهْمُ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغَنَّ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" سورة يونس الآية 24.</p> <p>فابن منصور من شدة وطئه بجيوشه لتلك المملكة صيرها خرابا ودمارا لا يرحى منها النفع، وكأنها لم تعمر ولم تسكن من قبل؛ ليختم بجملة "مرفوعة" لك في العلاء أعلامها" كناية عن النصر المبين.</p>			
<p>صورة المجاهد في سبيل الله، المؤيد بالنصر؛ الذي نطقت به الشواهد التي شبهها بالإنسان ثم حذف المشبه</p>	<p>عبد الملك</p>	<p>5-ألا في سبيل الله عَزَمْتُكَ التي على الدين والإسلام منها دَلَالٌ</p> <p>6-فقد نَطَقْتُ بالنصر فيها شواهدٌ</p>	

<p>به (الإنسان) وجاء بشيء من لوازمه وهو النطق على سبيل الاستعارة المكنية. و هو الهازم للشرك والمشركين، الكريم الذي لا يوفي كرمه شكر ولا ثناء. فهو الجواد في السلم وشديد البأس في الحرب، فقد شبه الشاعر بالبحور الطوام التي لا ساحل لها.</p>	<p>بن المنصور ابن أبي عامر</p>	<p>وقد وَصَحَتْ للفتح منها مَخَائِلُ 7- فَأَبْشِرْ فنحْمُ الدين بالسعد طالعٌ وَأَيُّقُنْ فنحْمُ الشُّرْكِ بالخزري أَفِلُ 14- كَرُمْتَ فما يَغِيَا بِحَمْدِكَ مُفْحَمٌ وسُدَّتْ فما يَغِيِي بِقَدْرِكَ جاهل 15- وَجودُكَ في سلمٍ وبأسِكَ في وَعَى بُحُورٌ طوامٍ ما لهُنَّ سواحل (32)</p>	<p>06</p>
<p>صورة القائد الذي انتهى إليه السلطان والقوة. وصورة الاستواء على العرش (التاج، السرير)، فهو حامي الدولة العامرية بسيفه، ورافع الظلم عن أهلها.</p>		<p>4- فَلَا أَوْحَشْتِ من عِرِّ ذَكَرِكَ دَوْلَةَ إِلَيْكَ انتهى مَأْمُورُهَا وَأَمِيرُهَا 5- فما راق إلا في جبينك تَأَجُّهَا ولا قَرَّ إلا إذ حواك سريرها 6- فلا راعها حَطَبٌ وسيقُكْ أَنْسَهَا ولا رامها ضيمٌ وأنتَ مُجِيرُهَا 7- وَمَنْ ذا يُناوِيها وأنتَ أميرها ومن نَسَلِكَ الرَّأكي الكَريمِ وزيرها؟ 8- فَنِي طالَعَتُهُ بالسعود نُجُومُهَا وطارت له باليَمَنِ فينا طيورُهَا 9- أَدَّلَ له "عبدُ المليكِ" ملوكُهَا وَأَجَبَهُ "المنصورُ" فَهُوَ نصيرها (33)</p>	<p>07</p>

³² الديوان، ص ص95،94.

³³ الديوان، ص96.

<p>صور الشجاعة المتلونة بصورة الفارس المهيب المحرب والأجمل وهو يرفع رايات النصر، وقد وظف الشاعر أفعال التفضيل في أسلوبه(أشجع - أهيب - أصمد - أجمل)؛ التي صورت الممدوح في أعلى الرتب من هذه الصفات، كما استعمل أسلوب الاستفهام في البيت 10 الذي غرضه الفخر و التباهي بالممدوح</p>		<p>8-وأشجع من حطمته الخيولُ وأهيب من زهبتهُ الأسودُ 9-وأصمد من جرتته السيوفُ وأجمل من ظللته البؤودُ 10-ومرّ هو للملكِ سورٌ منيعٌ ومن هو للدينِ ركنٌ مشيدٌ⁽³⁴⁾</p>	<p>09</p>
<p>صورة الأيام الشاهدة على شجاعة وبطولة منذر بن يحيى الذي واجه الموت فهزمه، هو المنذر للأعداء المبشر بالنصر، هو صورة الإيمان في قلوب المؤمنين. فمنذر بن يحيى هو صورة للمجاهد الحق في سبيل الإسلام.</p>	<p>منذر بن يحيى</p>	<p>58-وَمَشَاهِدٍ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَيَّامُهَا طَنَّا بَرِيْبٌ وَلَا حَدِيْبًا يُفْتَرَى 59-لَا قِيَتْ فِيهَا الْمَوْتُ أَسْوَدَ أَذْهَمَا فَدَعَرْتَهُ بِالسَّيْفِ أَيْبَضَ أَحْمَرَا 62-و"المنذر" الأعداءَ بالبشرى لنا صَدَقَتْ صِفَاتُكَ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا 63-مَا صُوِّرَ الْإِيْمَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ حَتَّى يَرَاكَ اللهُ فِيهِ مُصَوَّرًا⁽³⁵⁾</p>	<p>39</p>
<p>صورة الملك المعتر بملكه، الممكن بنصره، فالمنظر يحيى بن المنصور فتى عزّ به</p>	<p>المنظر يحيى بن المنصور</p>	<p>5-وَمُلْكًا وَمَمْلِكًا وَقَلْجًا وَغِبْطَةً وعزًّا وإعزازًا ونصرًا وتمكينًا</p>	

³⁴ الديوان، ص ص102،101.

³⁵ الديوان، ص219.

الإسلام والمسلمون في دينهم وديناهم. فشجاعته تجاوزت الوصف والخيال فهو مروض الأسود والتعابيين..		6- دُعَاءٌ لِمَنْ عَزَّتْ بِهِ دَعْوَةُ الْهُدَى يقول له الإسلام: آمين آميناً 7- فَيُّ مَلِكِ الدُّنْيَا فَمَلَكُنَا بِمَا وجاهد عَنَّا يَنْصُرُ الْمَلِكَ وَالِدِّينَا 8- فَقَلَّدَ أَعْنَاقَ الْأَسْوَدِ أَسَاوِدَا وَحَلَّى أَكْفَتَ الدَّارِعِينَ نَعَابِينَا ⁽³⁶⁾	59
صورة الرجل الكريم صاحب اليد الطولى، وصورة الآمال المعلقة عليه.	الوزير عيسى بن سعد	5- وَنَادَيْتَ بِالْإِنْعَامِ فِي الْأَرْضِ فَالْتَقَتْ بِيَمْنَاكَ أَشْتَاتُ الطَّرَائِقِ وَالسُّبُلِي 6- وَحَلَّتْ بِكَ الْآمَالُ فِي عَدَدِ الدَّبِي فَوَاقَتْ أَيَادِي مَنْكَ فِي عَدَدِ الرُّمْلِي ⁽³⁷⁾	23
صورة الفتى الشجاع ناصر الدين الفتى الكريم المعطاء.	خيران العامري	44- فَيُّ سَيْفُهُ لِلدِّينِ أَمْنٌ وَإِيمَانٌ وَيَمْنَاهُ لِآمَالِ رَوْحٍ وَرِيحَانٌ 45- تَقَلَّدَ سَيْفَ اللَّهِ فِينَا بِحَقِّهِ فَبَرَّتْ عُهُودٌ بِالْوَفَاءِ وَأَيْمَانُ ⁽³⁸⁾	33

تنوعت صور الممدوح من قصيدة إلى أخرى، وتفنن الشاعر في إخراج معانيها بصور متعددة، مما زاد من ثراء القصائد وجمالها، ومن هذه الصور نجد: الشجاعة، الكرم، الواقعة الحربية، الخلف الصالح، المجد، إقامة شعائر الدين، العدل، الجهاد... فصورة الشجاعة مثلا هي إحدى الصور المتواترة في الديوان أخرجها الشاعر في عدة أوجه، فالشجاعة تارة اقتدار على خوض الحروب؛ وهي الفتك بالأعداء وهي استبسال في الدفاع؛ وهي

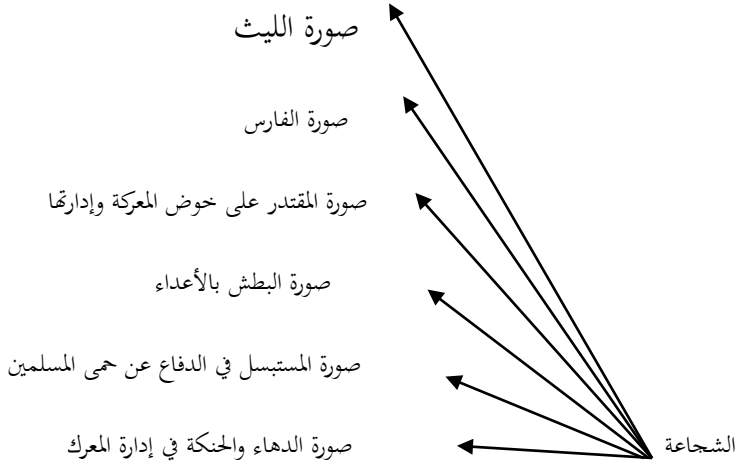
36 الديوان، ص 349.

37 الديوان، ص 123.

38 الديوان، ص 177.

دهاء في قيادة المعركة وحنكة في المواقف الصعبة، فكل معنى من هذه المعاني يندرج ضمن المعنى الأشمل وهو الشجاعة.

أما من حيث أهمية هذه الصور فإن الشجاعة كانت الأكثر حضوراً في القصائد المدحية لابن دراج، وهكذا تجلت صورة الشجاعة عند ابن درّاج بصور متنوعة ومختلفة يوضحها الرسم البياني الآتي:



أما الكرم فهو سحابة ممطرة على الشاعر ابن دراج، وهو اليد الممدودة إلى العلياء، وهو الإغداق بلا حدود على الأضياف، وهو سقي الأرض العطشى، أرض الشاعر التي أنبتت شعرا يؤتي أكله كل حين بإذن ربه. والمجد صورة لتلك المناقب العظيمة التي ورثها الممدوح عن أجداده؛ وعن النسب العريق الضارب في التاريخ، كما أن صورة الممدوح قد أخرجها الشاعر في صورة دينية كتنقوى الممدوح وورعه، وحماية الدين ورفع لواء الجهاد.

لقد أسهم ابن دراج في تسجيل عدة وقائع حربية خاضها ممدوحه، ورسم لنا لوحة متعددة الألوان تعكس عليها كل الأطراف المادية و المعنوية المشاركة في تلك الواقعة. فتصوير الواقعة الحربية هو تصوير لدور الممدوح في الحرب و الحالة النفسية للعدو وأحداث القتال ووصف أدوات الحرب ووصف الجند ثم التبشير بالنصر وتهنئة الممدوح بذلك.

وما نلاحظه أن صور الممدوح فيه ما هو جاهلي وما هو إسلامي فمن المعاني الجاهلية في وصف الممدوح الشجاعة الكرم... ومن المعاني الإسلامية الجهاد وإقامة الدين وقد حاول ابن دراج أن ينزل هذه المعنى والصور منزلتها الأندلسية الخاصة.

ونخلص في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج منها: أن الشاعر ابن دراج القسطلّي الأمازيغي الأصل شاعر فذ تجاوز شعره حدود شخصيته، و لا سيما أنه عاش فترتين متناقضتين مرحلة انتصارات القائد العظيم المنصور ابن أبي عامر، ومرحلة الفتنة القرطبية، وتيه الشاعر ورحلته بين فتيان بني عامر وغيرهم، حتى استقر به الحال عند يحيى التجيبي الذي مدحه هو الآخر بثلاث شعره. وقد خلد الشاعر هاتين الفترتين بقصائد " لو مدح الزمان بما لما جار أو رواها الزبرقان" على حد قول ابن بسام.

إن القصيدة المدحية بدت متميزة في معانيها ومواضيعها وأساليبها ومعجمها اللغوي، كما أن صورة الممدوح -وهو مقصدنا في هذا البحث- قد تنوعت وتفاوتت من ممدوح إلى آخر، و من قصيدة إلى أخرى وجاءت متعددة الألوان والأشكال مما يدل على براعة وحذاقة ابن درّاج القسطلّي... كما أن شعره المدحي ما زال يطرح قضايا نقدية كثيرة منها قضية التأثير بين المشرق والمغرب وقد أثبت ابن دراج -رحمه الله- قدرته على مجارة المشاركة بل منافستهم ومنافحتهم.

قائمة المصادر والمراجع

ابن دراج القسطلبي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد سلمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب. كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين.

(مراجعة ترجمة ابن دراج وأخباره. جذوة المقتبس ترجمة 186. الثعالبي: يتيمة الدهر: 103/2-116. ابن بسام الذخيرة ق 59-59، 889، 450، 376، 353، 351، 103. ابن بشكوال: الصلة ترجمة 77. ينظر: مقدمة الديوان. تحقيق وتقديم: محمود علي مكي. ط1. دمشق: منشورات المكتب الإسلامي. 1961م. ص 21. و ط2. الكويت: منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2004م. ص 8.)

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط2. القاهرة، 1956م. ج 1/2. 104.

ينظر: لمخضر، المصطفى. ابن دراج القسطلبي الأندلسي - بين الانتصار والانكسار - ط1. مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية. 2010م. ص 9.

ابن منظور. لسان العرب. مادة: (مدح). ط1. بيروت: دار صادر، 1997م. ج 6، ص 27.

الزنجشيري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق: عبد الرحيم محمود. (د.ط.). بيروت: طبع دار المعرفة. ص 324.

القرظوني، أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، 1979م. ج 5. ص 308.

الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد. التعريفات. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1983م. ص 297.

جبور، عبد النور: المعجم الأدبي. ط2. بيروت: طبع دار العلم للملايين، 1984م. ص 245.

ينظر: قدامة بن جعفر. نقد النثر. طبعة القاهرة، 1983م. ص 81.

ينظر: عتيق، عبد العزيز. الأدب العربي في الأندلس. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية، (د.ت.). ص 183.

ينظر: ابن رشيقي، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - باب التكسب بالشعر والأنفة منه - تحقيق: عبد الحميد هندراوي. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2001م. ج 1. ص 69_72.

ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف. ج 1 ص 75، 74.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (681_608هـ) تحقيق: د. إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ج1، ص 135. وديوان ابن دراج القسطلّي، مصدر سابق، ط2، ص8.
- مقدمة الديوان، ط2، ص8.
- * قسطلّة : قرية في غرب الأندلس، هذا ما ذهب اليه الحميري، أما موقعها فهي القرية الداخلة في حدود البرتغال والتي تسمى (cacella)، من أعمال منطقة Algavre انظر: .مقدمة الديوان ،ص14.
- * المنصور بن أبي عامر: هو الملك الأعظم المنصور بن أبي عامر مُحَمَّد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش، وعبد الملك جده هو الوافد من الأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب. وقال في المطمح في حقي بن أبي عامر: إنه تمرس في بلاد الشرك أعظم تمرس، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس، وغادرهم صرعى البقاع و تركهم أذل من وتد بقاع، ووالى على بلادهم الوقائع، وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع، وأغص بالحمام أرواحهم، ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم .(نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف الشيخ أحمد بن المقرئ التلمساني حققه: د. إحسان عباس ج1 دار صادر بيروت1988م) ص ص: 392، 403..
- * شنجول: هو عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، أخو عبد الملك المظفر . وشنجول اسم جاء من قبل أمه عبد بنت شنجة النصراني. البيان لابن عذارى: 83/3.
- ابن دراج القسطلّي. بين الانتصار والانكسار .مرجع سابق .ص 72.
- ابن بسام، الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس. لبنان: دار الثقافة، 1997م.
- ج1، ق3، ص 11، 10.
- القسطلّي، ابن دراج. الديوان. ط2. مصدر سابق. ص78.

Ibn Darraj Al-Qostoli: is Abu Omar Ahmed bin Mohammed bin Ahmed Asi bin Salman bin Isa bin Alkstala rider Andalusian poet, writer. The writer Mansur Ibn Abi Aamir and poet and is counted in the history of Andalusia, among glorious poets.

(Revised translation Ibn Darraj and news .jdjuh quoted translation 186 .Iaalba: orphan age: 2 / 103-116 .Ibn Bassam ammunition Q59-103,351,353,376,450,889 .abn Peshkoal: Relevance 77 translation. Consider: Introduction Court . Investigation and Provision: Mahmoud Ali Macai.t1.Damascus: Islamic office publications 0.1961 m .s 21. and i 2. Kuwait: publications Foundation of Abdulaziz Saud Al-Babtain's Prize for Poetic Creativity 0.2004 M.s 0.8)

Thaalbi, Abu Abdul-Malik Mansour Ibn Mohammed bin Ismail Alnisabure. Orphaned at the age fortuitous people of the times. Achieve: Mohammad Mohiuddin Abdul Ahamid.t2.Alqahirah 0.1956 M.j 1.2 / 104.

Anzer: For the record, Almstefy. Ibn Darraj Al-Qostoli Alondlsa- between victory and Alanksar- i 1. Marrakech: the printing press and the national Print house 0.2010 m .s 9.

Ibn Mendour. Arabes Tong. Material: (praise) .t1.berott: House issued 0.1997 M.j 6, p. 27.

Zamakhshari, Mahmoud Abu al-Qasim ibn Umar. Rhetoric basis. Achieve: Abdul Rahim Mahmoud. (D.t). Beirut: printed in Dar Almarafh.s 324.

Caspian, Ahmed Ibn Faris. Lexicon language standards. Achieve: Abdul Salam Mohammed Haroun . Dar Almarafh, 1979 .j5.s 308

Jerjani, Mr. Sharif Ali bin Mohammed. Altaravat.t1. Beirut, Lebanon: House of Scientific Books, 1983. p 297.

Ajabur, Abdel Nur: Lexicon Literature.t 2. Beirut: Printed in house of Science 0.1984 M.s 245. 9

_ seen: Qudaamah Ben Jaafar. Prose Criticism. Cairo edition, 1983 AD. p 81.

Consider: Atiq, Abdul Aziz.alodb Arab in Andalusia. Beirut, Lebanon: Arab Renaissance Publishing House, (D.t) .s 183.

Consider: Ibn Rachik, Abu Ali Al husn. Almayh in the pros peotry and etiquette and criticism-door earning Peotry and above-it-achieve: Abdul Hamid Hendaoua.t1.Beirut: modern library 0.2001 M.j1.s S69_72.

Ibn Qutaiba, Abu Mohammed ibn Abdullah ibn Muslim .Peotry and Peots. Investigations explained: Ahmed Mohamed Haker.alqahrh: Knowledge House. T2.pp74,75

Ibn Khalkan, Abu Abbas Shamsuddin Ahmed bin Mohammed bin Abi Bakr.

Mortality Senate and the sons of news time (608_681h) achieve: d. Ehsan Abbas. Bierut: Dar Sader, c. 1, p 135. odioan son Alkstala rider, a former source, 2nd Floor. P. 8.

Introduction Diwan, T2.s 8

-kstalh: A village in the west of Andalusia, this is what Humairi went to him, and the location they are entering the village on the borders of Portugal, which is called (Cacella), acts Algavre area see: .mekdmh Court, p. 14.

-Mansour Bin Abi Amer is the greatest king Mansour Bin Abi Amer Mohammed bin Abdullah bin Amer Ibn Abi Amer Ibn Al Waleed bin Yazid II Almaevri village Turkh, and Abdul Malik grandfather is a newcomer from Andalusia with Tariq in the first entrants of the Arabs. He said in ambition in my right bin Abi Amer: it is inexperience in the land of polytheism greatest inexperience, and wiped out of Twagetha all the swagger and the perk, and Gadarham lying on the Bekaa and left them humiliated wedge parts, and the governor on their facts, and slotted into their livers arrows Alfjaia, and Ogs bath lives, and Ngs those pains Bkoarham and Ruahhm. (bringing his good branch of Al-Andalus Alrtaib written by Sheikh Ahmed bin Mokri Tlemceni achieved: d. Ihsan Abbas c 1 House issued Beirut, 1988), pp: 392 403 ..

-Hnjul: Abdul Rahman bin Mansour bin Abi Amir, Brother of Abdul-Malik al-Muzaffar .ohnjul name came from his mother before Abdul girl Hnjh Christian. The statement of Ibn Adhari: 3/83.

Ibn Darraj Al-Qostoli. Between victory and Former refraction .marja .s 72.

Ibn Bassam, Aelchentrini.alzjerh in fortuitous people Aldzerh.thakiq: Ihsan Abas.bannan: House of Culture, 1997. , C 1, S 3, pp. 10,11.

Ibn Darraj Al-Qostoli. Diwan.t2..s 78.

